أخلاقيات الحرب عند النبي صلى الله عليه وسلم من خلال الهدي النبوي العسكري

د حفيظة طالب
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية وهران الجزائر
Taleb_hafiza@hotmail.fr

ملخص

منذ أن وجد الإنسان وجدت الحرب، وحروب الدعوة الإسلامية الهدف منها نشر التوحيد لا عدوان ولا إفساد، ولا استغلال، وإنما عدالة مطلقة وإصلاح في الأرض، وصيانة، قبل أن تعرف الدنيا المعاهدات التي تنظم الحرب والسلام.إنّ الأزمات التي تتعرض لها البشرية من جراء الحروب لم تكن وليدة نقص فكري أو ثقافي أو اقتصادي بقدر ما هي وليدة أزمة خلقية، لذا نرى أن جميع الرسل والديانات إنما جاءت لترسيخ مبادئ الأخلاق السامية بين الشعوب فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا البعثة النبوية:" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" والأخلاق هذه هي النظام الأساس في حفظ حقوق الآخرينفالقتال في الإسلام أمر مكروه يقدم عليه المؤمنون مكرهين ضائقين به، فهم في عداوة مستمرة بينهم وبين أرباب الضلال قال تعالى: " كتب عليكم القتال وهو كره لكم" البقرة 21

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، الحرب، القتال، الظلال، معاهدة

مقدمة

منذ أن وجد الإنسان وجدت الحرب، وحروب الدعوة الإسلامية كانت ولا زالت السابقة في التاريخ الإنساني للحرب العقائدية الخيرة، فقد كان الهدف منها نشر التوحيد وكانت وسيلتها إلى تحقيق الهدف، مستمدة من أخلاقيات التوحيد، لا عدوان ولا إفساد، ولا استغلال، وإنما عدالة مطلقة وإصلاح في الأرض، وصيانة لحقوق المهزوم، قبل أن تعرف الدنيا المعاهدات التي تنظم الحرب والسلام. إنّ الأزمات التي تتعرض لها البشرية من جراء الحروب لم تكن وليدة نقص فكري أو ثقافي أو اقتصادي بقدر ما هي وليدة أزمة خلقية، لذا نرى أن جميع الرسل والديانات إنما جاءت لترسيخ مبادئ الأخلاق السامية بين الشعوب، فهي تحرم الحروب من أجل الاستغلال وميول فئات معينة نحو التوسع على حساب الأخرى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا الغرض الأساسي من البعثة النبوية:" إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" والأخلاق هذه هي النظام الأساس في حفظ حقوق الآخرين وعدم الاعتداء وسلامة المجتمع.

فالقتال في الإسلام أمر مكروه يقدم عليه المؤمنون مكرهين ضائقين به، فهم في عداوة مستمرة بينهم وبين أرباب الضلال وأهل السوء وجند الشيطان، وهم بالتالي في دفاع عن حق يتصارع مع باطل. قال تعالى: " **كتب عليكم القتال وهو كره لكم**" [البقرة 216].

كيف كانت قواعد الحرب في الإسلام وهل كان النبي صلى الله عليه وسلم يميز بين المقاتلين والمدنيين وكيف تعامل مع أسرى الحرب؟وكيف كانت أخلاق الصحابة رضوان الله عليهم بعد أن أذن لهم في القتال وما هو موقف الإسلام من الضعفاء والجواسيس والأسرى وكيف تعامل الإسلام مع النساء والأطفال والشيوخ والمسالمين؟استدعت الإجابة على هذه الإشكالية أن يكون المنهج المتبع استقرائي، تحليلي، تاريخي.

مثل هذه القيّم الأخلاقية وإظهارها على حقيقتها، لترسيخ اقتداء الأمة بها مع دحض الافتراءات ورد الشبهات من خلال تقويم الحقيقة للذين يتهمون الإسلام بالعدوانية وهم الذين يمارسون العدوان على عقيدة وبلاد ودماء المسلمين(1).

لقد شرّع الرسول صلى الله عليه وسلم للحروب قواعد شريفة، أمر الجيوش والجنود بالالتزامبها، ولم يسمح لهم بالخروج عنها بحال.

وهذا عند الضرورة الحربية فعندما تهدد دولتك ويريد العدو أن يفرض عليك مبادئه وقيمه وأفكاره بقوة فماذا أنت فاعل عندها إلاّ أن تدافع على نفسك وأرضك ومالك وقيمتك، وعندما يدنس آخرون مقدساتك وينتهكون أعراضك ويصرون على ذلك فماذا أنت فاعل؟ إنّ محمد عليه الصلاة والسلام لم يسع إلى الحرب، بل فرضت عليه وحاول تجنبها قدر الإمكان، فكان كلما وجد سبيلا لدفعها دفعها.

إنّ المطالع للسيرة النبوية بعلم وأمانة وعمق يجد أنّ صفحات حربها أنقى وأطهر وأروع صفحات حرب خاضها البشر على وجه الأرض قال تعال:" **ومَا أَرْسَلْنَاك إلاَّ رحمة للعَالمَين**" [الأنبياء 107].

فهذه التوجيهات المبنية على الرحمة والصبر والتسامح هي التي أثمرت أمة الصحابة الذين قال عنهم تعالى:" **كُنتم خَير أمةٍ أخْرجت للنَاس" [آل عمران 110].**

تلك الأمة الرائدة التي كانت تعمل بهدي قوله تعالى: " **فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" [المائدة 13].**

فلعل من أبرز القيم والثوابت في أخلاق الصحابة رضوان الله عليهم، تجذر ثقافة الحلم والعفو والصفح والمسامحة والرحمة، ليس تجاه عامة الناس فقط، وإنما تجاه من مارس الظلم والقتل والحرمان والبهتان ضدهم وهذه ثوابت حضارية وقيم أخلاقية تأكدت معانيها في مواقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعده"(2).

وخير دليل على هذه السماحة، الهجرةفالحديث عنها يظهر سماحة أخلاق الحرب في عصر الرسالة ويبين صبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين حين

1- حامد، محمد، أخلاق وآداب النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب، عمان، ص20)

2- حامد محمد، مرجع سابق، ص20.

أخرجوهم من بلادهم مرغمين، ويوضح عفوهم وسماحتهم حين عادوا فاتحين فعلموا الدنيا كيف يكون العفو عند المقدرة عمّن قتل وسلب وشتم وفعل كل ما يفعله المعتدون، فبرهنوا لبناة الحضارة أنهم في المقدمة لكل من سلك مسالك الرحمة والإنسانية وهو في زهو انتصاره وعنفوان قوته، فلا انتقام ولا تشفي ولا أذى .[3]

3- المرجع نفسه، ص20.

آداب الحرب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم:

من آداب الحرب وأخلاقياته صلى الله عليه وسلم اللجوء إلى الدعاء: قال تعالى: " **وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ " [الأعراف 56]**

من الفضائل الأخلاقية في الدعاء أنّ المسلم يلجأ إليه ويفوض أمره إلى الله سبحانه وتعالى، فهو المتصرف في هذا الكون وهو الحاكم فوق جميع عباده، فالمسلم الذي يؤمن بفاعلية الدعاء لا يمكن أن يسعى لارتكاب إثم أو ظلم أو قتل أو عدوان، لأنّ ذلك سيحول بينه وبين استجابة الدعاء.

أن يكون القتال في سبيل الله:

لا تكون الحرب عادلة إلاّ إذا توافقت أهدافها الباطنة مع أهدافها الظاهرة المبنية على النية الصالحة البريئة من الأهواء، قال صلى الله عليه وسلم: " **إنما الأعمال بالنيات**"[4]

لذلك كل قتال لا يقصد به وجه الله تعالى فهو لا يتوافق مع أخلاق الحرب في عصر الرسالة التي لا تبيح العدوان ولا الغدر ولا نقض العهود، ولا تبيح القتال إلاّ لدفع الظلم، وإحقاق الحق، فالحرب المقيدة بأسمى القيم الإنسانية المشروعة المبنية على النية الصالحة التي يبذل فيها المسلم أقصى ما يمكنه من الجهد والعطاء هي التي تسمى في الإسلام الجهاد، مع الرحمة والإنسانية وحسن المقصد وجميل العفو والاستعداد الدائم لصناعة السلام وبناء المجتمع الإنساني المشترك المتعدد الأعراف والثقافات. فإن تحققت هذه الضوابط في الحرب أذن بها الإسلام ورعاها لأنها تنفيذ لمقاصد العقد القائم بين المؤمنين وخالقهم عز وجل (11). قال تعال:: "**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [التوبة 111]**

4-الزحيلي، وهبة، آثار الحرب في الاسلام، دمشق، دار الفكر،ص 21.

عدم تمني لقاء العدو:

تقدم في أواخر الجهاد " باب لا تتمنوا لقاء العدو " وتقدم هناك توجيهه مع جواز تمني الشهادة، وطريق الجمع بينهما لأن ظاهرهما التعارض، لأن تمني الشهادة محبوب، فكيف ينهي عن تمني لقاء العدو وهو يفضي إلى المحبوب؟ وحاصل الجواب أن حصول الشهادة أخص من اللقاء لإمكان تحصيل الشهادة مع نصرة الإسلام ودوام عزه بكسرة الكفار، واللقاء قد يفضي إلى عكس ذلك فنهى عن تمنيه ولا ينافي ذلك تمني الشهادة، أو لعل الكراهية مختصة بمن يثق بقوته ويعجب بنفسه ونحو ذلك.

فجاء قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " **أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، وإعلموا أنّ الجنة تحت ظلال السيوف**" (5).

الرفق والرحمة:

الرحمة خلق أصيل في ثقافة المقاتلين في عصر الرسالة دعا إليه القرآن الكريم ودعت إليه السنة النبوية الشريفة، وقد وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالرأفة والرحمة، وبلغ من رحمته ورفقه ورأفته أن شملت المنافقين واليهود على الرغم مما كانوا عليه من النقض والنكث وتعمد الأذى.

الوفاء بالعهد والأمان في أخلاق المقاتلين في عصر الرسالة:

من أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم الحربية، الوفاء بالعهد والأمان وإنفاذ العقود، لما لهذه المعاني من جذور راسخة في عقيدة المسلم قال الله تعالى:" **يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود**": [المائدة 1]

ومن الوفاء الجميل ما حصل لحذيفة بن اليمان يوم بدر، قال: ما منعني أن أشهد بدرا إلاّ أني خرجت أنا وأبي، حسيل، قال: فأخذنا كفار قريش. قالوا: إنكم تريدون محمدا؟ فقلنا: ما نريده. ما نريد إلاّ المدينة، فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه. فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا. نفي بعهدهم، ونستعين

5- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، المكتبة العصرية، كتاب الجهاد، باب: لا تمنوا لقاء العدو، ح 2863

الله عليهم" (6)، فهل هناك بناء في القيم النبيلة وأخلاق الوفاء بالعهد للعدو كما هو عند المسلمين في ذلك العصر؟

أهل الأعذار في أخلاقيات الحرب في عصر الرسالة:

على الرغم من التشديد الكبير الظاهر في نصوص الكتاب والسنة على خطورة التخلف عن الجهاد، فإنّ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية قد أقرت العذر لمن لا قدرة له على المشاركة، قال البراء رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية :"**لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا" [النساء 95]**

فقد أعذر أصحاب العاهات المزمنة، كذلك أعذر من لازمته ظروف قاهرة فحبسته عن المشاركة في القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتبين ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم: إنّ أقواما بالمدينة خلفنا، ما سلكنا شعبا ولا واديا إلاّ وهم معنا فيه، حبسهم العذر "(7).

موقف النبي عليه الصلاة والسلام من الضعفاء والأسرى في الحرب:

1 موقف النبي صلى الله عليه وسلم من مشاركة المرأة في القتال:

كانت هناك رغبة شديدة من كثير من النساء بالمشاركة مع النبي صلى الله عليه وسلم في الدفاع عن التوحيد ومساندة المقاتلين في سبيله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج ببعض نسائه إلى مواقع القتال على الرغم من المخاطر التي يمكن أن يتعرضن لها. وكان إذا همّ بعمل عسكري يواجه به المشركين يعقد القرعة بين نسائه فمن وقعت لها رافقت رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: استأذنت النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد، فقال: "**جهادكن الحج**"(8).

6- مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد، باب الوفاء بالعهد، ح 1782.

7- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب: من حبسه العذر عن الغزو، ح 2684.

8- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد، باب جهاد النساء، ح2720.

قالت أم عطية الأنصارية:" غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات، أخلفهم في رحالهم، فأصنع لهم الطعام، وأداوي الجرحى، وأقوم على المرضى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى[9].

2 تحريم قتل النساء والأطفال والمسالمين من أخلاقيات النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب:

إنّ أخلاقيات الحرب في السيرة النبوية لم تكن تشجع المرأة على خوض المعارك ومباشرة القتال، وأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يصرف الراغبات في ذلك إلى ماهو أيسر عليهن وأقل عناء مثل الحج، ولكنه يأذن أحيانا لبعضهن بالمشاركة في بعض المغازي وأحيانا يأذن لبعض الصبيان. غير أنه ينهى عن قتل النساء والصبيان [10].

لما بعث أبو بكر رضي الله عنه وهو وارث أخلاق الحرب في عصر الرسالة، يزيد بن أبي سفيان قائدا على أحد الجيوش الأربعة التي تولت فتح الشام أوصاه فقال صلى الله عليه وسلم:" ولا تقتلوا كبيرا هرما ولا امرأة ولا وليدا"[11]، ولما نقضت قريضة العهد مع المسلمين، ثم حكم سعد بن معاذ بقتل المقاتلة . قال عطية القرظي عرضنا على النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ فمن أنبت شعرا قتل ومن لم ينبت ترك فكنت أنا ممن لم ينبت الشعر فلم يقتلوني يعني يوم قريظة[12].

تحرير الرقيق في أخلاقيات الحرب في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم:

على الرغم من أنّ الحروب غالبا ما تكون سببا في الرق والعبودية، إلاّ أن من خصائص أخلاق الحرب في عصر الرسالة، العمل على تحرير الرقيق والتشجيع على ذلك بوسائل كثيرة، ولعل الناظر في مكانة بلال بن رباح في الأمة إلى هذا العصر يعلم يقينا أنه لا يوجد نظام بإمكانه أن يجسد تلك المكانة التي تتوارث محبتها الأجيال كما فعل ذلك

9- مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب النساء الغازيات، ح 1812.

10- مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب تحريم قتل النساء والصبيان في الحرب، ح 1744.

11- البيهقي، سنن البيهقي الكبرى، كتاب السير، باب قتل من لا قتال فيه، ح 17929.

12- الدارمي، أبو محمد عبد الله، سنن الدارمي، بيروت، دار الكتب العلمية، كتاب السير، باب حد الصبي، 2414.

الإسلام بدعوته إلى أبناء أمته في مثل قوله صلى الله عليه وسلم: **اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة"** [13].

وكان من محاسن سياسة الإسلام في تحرير الرقيق حيث يحفظون حقوق المعاهدين وفاء للعهود التي يحفظها الإسلام فيردون لهم أثمان من جاءهم مسلما من أموالهم الخاصة في سبيل تحرير الرقيق، فيفتحون قلوبهم وبلادهم لمن آمن بالتوحيد. قال ابن عباس رضي الله عنهما:" وإن هاجر عبد أو أمة للمشركين أهل العهد لم يردوا وردت أثمانهم"[14].

رحمته صلى الله عليه وسلم بأعداء دينه:

لقد شرع للحروب قواعد شريفة ألزم التقيد بها على جنوده وقوادها، ولم يسمح لهم الخروج عنها بحال، ففي غزوة مؤتة أوصى النبي صلى الله عليه وسلم صحابته قائلا : " **اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، وقاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ولا أصحاب الصوامع"**[15].

فنهت الشريعة الإسلامية عن التمثل برجال العدو الذين قتلوا أو الذين استنفذت كافة قوتهم، فهم بين الحياة والموت يلفظون أنفاسهم الأخيرة فإيذاءهم وهم بهذه الحالة يعتبر انتقاما فيه من البشاعة ما هو خارج عن إطار الخلق الإنساني مما ترفضه الشريعة السمحاء.

وهناك أساس أخلاقي آخر أشار إليه الرسول عليه الصلاة والسلام هو عدم الغدر، وهو نظام يهدف إلى عدم الانقضاض على العدو قبل دعوته إلى الحرب، وإنذاره بادئ الأمر، وقد التزم صلى الله عليه وسلم بذلك أثناء حروبه.

وفي إشارة أخرى إلى أساس أخلاقي آخر من أخلاقياته صلى الله عليه وسلم فقد أمر بعدم التعرض لكبار السن والنساء والأطفال باعتبارهم غير محاربين، ولا يقوون على حمل السلاح، فاعتبرهم من غير المشمولين بالحرب والقتل. وهذا ما وصلت إليه الاتفاقيات الدولية

13- البخاري، الصحيح، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام 6723.

14-البخاري، كتاب الطلاق، باب نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن، 4982.

15- ابن عبد البر، 1414م، ص 79.

وخاصة اتفاقية جنيف لحماية المدنيين في 1949 لكنه حبر على ورق لما نراه اليوم من تعرض المدنيين شيوخا ونساء وأطفالا إلى القتل والدمار وبكافة أنواع الأسلحة، وحتى المحرمة دوليا.

الموقف من الغنائم والغلول في أخلاقيات الحرب في عصر الرسالة:

إنّ كل ما يروج من أقاويل عن الأهداف المادية لما حصل من حروب في عصر الرسالة إنما هو من باب التشويش على الحقائق وتزييف المقاصد، تدمغه نصوص الكتاب والسنة وتشجيعها على العتق والزهد والإنفاق فشتان بين عقيدة تنمي في قلوب أهلها الزهد والإحسان وحب الآخرة تحت ظلال معاني القرآن وبين ثقافة تغرس في أفئدة أبنائها مفاهيم الهيمنة على لذائذ الدنيا المادية بأي وسيلة كانت. فمن أخلاقيات الحرب حفظ الأمانة وحفظ الغنيمة. فقد جاء التحذير من الغلول صريحا في كتاب الله.قال تعالى:" **وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**" [آل عمران 161].

والغلول هو اختلاس شيء من الغنيمة قبل تقسيمها، وقد تكفل الله تعالى بأن يأتي العبد الغال بما غلّ يوم القيامة، فالغلول وجه من وجوه الخيانة الممقوتة عند المسلمين.

فداء الأسرى في آداب الحرب في عصر الرسالة:

لما كان يوم بدر استشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في شأن الأسرى فكان بعضهم يرى أنّ الشدّة مع المشركين أجدى من التسامح، فحين قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه: إيت في واد كثير الحطب فأضرم نارا ثم ألقهم فيها، وقال عمر رضي الله عنه قادتهم ورؤساؤهم قاتلوك وكذبوك فاضرب أعناقهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه عشيرتك وقومك[16].

فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بالعفو والسماحة تأكيدا على الرحمة التي بنيت عليها أخلاق الحرب عند المسلمين[17].

معاملة الأسير:

16- النيسبوري، أبو عبد الله، المستدرك على الصحيحين، بيروت، دار الكتب العلمية، كتاب المغازي والسير، باب الأسرى، 43043.

17- حامد محمد، مرجع سابق، ص 284.

للأسير حقوق في الإسلام:

حق العقيدة بعدم التعرض لدينه، حق الطعام والشراب، حق الكسوة، حق المأوى

عدم التفريق بين الأسير وأهله

عدم التعذيب مطلق

معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للرسل:

من قيم المسلمين احترام الرسل وحمايتهم وسماع رسالتهم مهما كانت مخالفة لما عند المسلمين، وأنهم لا يقتلون على جميع الأحوال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب بكتابه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما وأنتما تقولان مثلما يقول؟ فقالا: نعم فقال: أما والله لولا أنّ الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما"(18).

فتح مكة ورقة النبي صلى الله عليه وسلم رغم ما فعله العدو:

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فاتحا عزيزا منتصرا، فطلب المفتاح من عثمان بن طلحة، ودون تردد أتى عثمان بالمفتاح، وهو الآن قد أصبح من الصحابة المؤمنين البررة، فأتى بالمفتاح ووضعه في يد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يظن أن الرسول صلى الله عليه وسلم سيعطي المفتاح إلى إنسان غيره، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم وضع المفتاح مرة ثانية في يد عثمان بن طلحة وقال: **"هاك مفتاحك يا عثمان، اليوم يوم بروففاء خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلاّ ظالم"**

لقد فعل صلى الله عليه وسلم أمرا من المستحيل أن تجده في تاريخ أي دولة من الدول، وقف الرسول صلى الله عليه وسلم في صحن الكعبة، ونادى على شعب مكة جميعا أن يأتوا إلى الكعبة، فأتوا جميعا وهم في حرج شديد بعد صراعهم الطويل مع الإسلام والمسلمين وإيذاء للرسول صلى الله عليه وسلم ومصادرة للأموال والديار وقتل بعض الأصحاب وجلد وتعذيب، وغيرها تاريخ طويل من العناء من أهل مكة، وسألهم الرسول صلى الله عليه وسلم سؤالا واحدا بسيطا: " **ماتظنون أنّي فاعل بكم"**

فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم

18- البيهقي، أبو بكر محمد بن الحسين، سنن البيهقي، بيروت، دار المعرفة، السنن، كتاب السير، باب لا يقتل الرسل (18556).

فقال في سماحة ورحمة: أقول كما قال أخي يوسف: " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين" يوسف 29" **اذهبوا فأنتم الطلقاء**"

إنّ النبي صلى الله عليه وسلم المنتصر لم يكن طالب ثأر ولا ناشد قصاص، بل كانت الرغبة المستولية عليه أن يفتح أقفال القلوب، وأن ينقذ التائهين الحيارى، وأن يعالج الأخطاء القديمة بالرفق وأن يتلقى الأحقاد القديمة بالعفو وأن يحبب الناس في الإسلام، وأن تقر عيناه برؤيتهم يدخلون فيه أفواجا، لأنه رحمة مهداة، ورسول يقود العباد إلى ربهم، وليس بشرا ينزع إلى التسلط والجبروت، وما انتقم لنفسه قط ولا طلب لها علوا في الأرض[19].

19- الرمادي، أماني زكرياء، أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب، موقع نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ص111

الخاتمة

- إنّالإسلام حضارة كاملة ودستور شامل لأمور الحياة دينا ودنيا
- لما كانت الحرب ظاهرة اجتماعية فقد عالجها الإسلام ووضع لها المبادئ الرئيسية لكل ما يتصل بها من حيث أهدافها وأساليب إدارتها وقوانينها وآدابها.
- النبي عليه الصلاة والسلام كان قائد هذه المدرسة ومعلمها الأول فأخلاقه الحربية، هي كنز من كنوز القيم والآداب والمعاني الإنسانية، وإنّ التشويش على القيم الإنسانية المتأصلة في الوقائع العسكرية التي خاضها المسلمون في عصر النبوة إنما هو من باب التخرص وثقافة الإفك التي ينميها خصوم عصر الرسالة ذلك العصر الذي فاق بمواقفه الإنسانية جميع العصور حتى أصبح في موقع القدوة لكل موقف إنساني نبيل.

التوصيات:

إعادة بناء الإنسان، من حيث الأخلاق أولا والاهتمام بقراءة السيرة النبوية وكل ما يتعلق بالغزوات وكيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع العدو.

قائمة المصادر والمراجع:

- البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل، **صحيح البخاري**،بيروت،المكتبة العصرية
- البيهقي، أبو بكر محمد بن الحسين، **سنن البيهقي**،بيروت، دار المعرفة.
- حامد، محمد، **أخلاق وآداب النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب**،عمان.
- الدارمي،أبو محمد عبد الله، **سنن الدارمي**،بيروت، دار الكتب العلمية.
- الرمادي،أماني زكرياء،**أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في الحرب**،موقع نصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- الزحيلي،وهبة، **آثار الحرب في الاسلام**، دمشق، دار الفكر.
- النيسبوري، أبو عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**،بيروت، دار الكتب العلمية